بسم الله الرحمن الرحيم

# من مكارم الأخلاق

# السخاء والكرم

جمع وترتيب : علي بن محمد عبده المطري

عفا الله عنه وغفر له ورحمه

واسكنه فسيح جناته

٦/ربيع الثاني/١٤٤٥هـ

# من مكارم الأخلاق السخاء والكرم

**الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وبفضله تتنزل الخيرات والرحمات والصلاة والسلام على رسول الله البشير النذير والسراج المنير ورضى الله عن الصحابة والتابعين لهم إلى يوم الدين**

**أما بعد:**

- **من مكارم الأخلاق السخاء والكرم:**

وإنْ كثرتْ عيوبكَ في البرايا

وسَرك أَنْ يَكُونَ لَها غِطَاءُ

تَستَّرْ بِالسَّخَاء فَكُلُّ عَيْب

يغطيه كما قيلَ السَّخاءُ

- الكريم السخي ينال دعوة الملائكة له بالخلف، بخلاف البخيل فإن الملائكة تدعو عليه بأن يتلف الله ماله؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا ) أخرجه البخاري (١٤٤٢)، ومسلم (١٠١٠)
- خَزائنُ الله سُبحانَه لا تَنفَدُ، وقدْ حَثَّ عِبادَه على الإنفاقِ وبَذْلِ الخَيرِ في وُجوهِ البِرِّ، وعدَمِ الإحصاءِ والمحاسَبةِ لِمَا أنفَقوا، ووعدَهم بالإخلافِ بالخَيرِ، والجَزاءِ بالأجرِ العَظيمِ على الإنفاقِ في سَبيلِه
- البخل قد يكون سبباً لبعض المعاصي؛ فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: (إِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالشُّحِّ، أَمَرَهُمْ بِالْبُخْلِ فَبَخِلُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْقَطِيعَةِ فَقَطَعُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْفُجُورِ فَفَجَرُوا) أخرجه أبو داود (١٦٩٨) واللفظ له، وأحمد ٦٤٨٧
- الأمراض القلبيَّةُ كالحسَدِ والشُّحِّ وغيرِهما مِن الأمورِ الَّتي تُهلِكُ صاحِبَها؛ بل الأمَّةَ بأسْرِها إنِ انتشَرَتْ فيها قد دعا الإسلام إلى الكرم والجود وحث على الإنفاق، وطبق ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم تطبيقات عملية واقعية كما هو مشهور عنه في سيرته العطرة
- لأن ذلك يؤدى إلى انتشار الحب والوئام في المجتمع ويتلاشى الحقد والحسد من القلوب، فيسود التعاون والحب والتسامح بين أبناء الإسلام من الأغنياء والفقراء، وتقوى الصلة والمودة بينهم، ويصبحون جميعًا كالجسد الواحد أو البنيان القوى المتين عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وتَوادِّهِمْ وتَعاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الجَسَدِ، إذا اشْتَكَى عُضْوًا تَداعَى له سائِرُ جَسَدِهِ بالسَّهَرِ والحُمَّى) أخرجه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦) واللفظ

حضَّ الإسلامُ على المؤاخاةِ والأُلفةِ والمواساةِ بيْن المؤمنينَ، وأنْ يَكونوا مُتكاتِفين مِثلَ الجَسدِ الواحدِ، ومثلَ البُنيانِ المرصوصِ؛ لتَقْوى وحْدتُهم وتَتَّفِقَ كَلِمتُهم؛ ولذلك أرشَدَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أُمَّتَه في هذا الحديثِ إلى ما يُنشِئُ فيهمُ التَّراحُمَ والحبَّ والعاطفةَ

- **مكانة الجود والكرم:**

- الجود والكرم خلُق عظيم، وعملٌ صالح جليل، أمر به ربُّ العالمين، وحثَّ عليه سيد المرسلين.
- الجود والكرم من صفات الله عز وجل:

فالكريم من أسمائه، والجود والكرم من صفاته، قال سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ [الانفطار: ٦ – ٨].

■ عن طلحة بن عبيدالله بن كريز، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إنَّ الله جواد يحبُّ الجودَ، ويحب معاليَ الأخلاق، ويكره سَفْسافها))؛ أخرجه ابن أبي شيبة، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة.

- فالله تعالى من أسمائه الكريم، فهو يعطى بلا حساب خلقنا ووهبنا القوة والحياة، ومنحنا الصحة وسخر لنا الأرض نأكل من خيراتها وسخر لنا ما في الكون، ولم يفرق في العطاء بين مؤمن وكافر لقد غطى كرمه الناس جميعًا، وهو يحب الكريم من الناس ويبغض البخيل كما يبارك في مال الكريم ويجزل له العطاء في الدنيا والآخرة
- اسمٌ جليلٌ، يُدخِل البهجة على قلوب عباد الله المؤمنين الذين عرفوا قيمة أسماء الله التي تدلُّ على الترغيب، فأحسُّوا فَضْلَها، وأحبُّوا من ربِّهم أن يُرى عليهم حلاها.
- علموا أن عطاء الله تعالى لا تحدُّه حدودٌ، فطفقوا ينفقون يمينًا وشمالًا، وأن نِعَمَ الله لا تُقيِّدها قيودٌ، فراحوا يشكرون المنعِمَ بالإحسان إجلالًا، وأن كرم الله تعالى فيُّوض وممدود، فمدُّوا أيديهم بالعطاء سخاء أرسالًا.
- يعطي سبحانه بلا سؤال، وهو الكبير المتعال، ويعفو عن المذنب الخطَّاء، وهو ذو العزة والجلال، يُجازي بالفضل، ويُحاسِب بالعَدْل، ويُقابِل اللاهي المقصِّر بالبَذْل، إمهالًا لا إهمالًا.
- وهـــو الحميدُ، هو المجيدُ الوليُّ، وهو الكريمُ، وكمْ يفيضُ نداهُ.
- إنه اسم الله "الكريم"، عظمت نِعَمُه، وكثُرت خيراتُه، ﴿ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، سبحانه لا تُحصي ثناء عليه، فما أكرمَه! وما أرحمَه
- والله تعالى يعطي قبل السؤال، ويغدق في النوال؛ قال تعالى: ﴿ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [إبراهيم: ٣٤].
- بل الله جل جلاله يستحيي أن يخيب رجاء مَنْ رفع إليه يديه سائلًا متوسِّلًا؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((إنَّ الله حَيِيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا خَائِبَتَيْنِ))؛ رواه ابن ماجة ٣١٣١
- فَضلُ اللهِ عزَّ وجلَّ على عِبادِه كثيرٌ، وهو حَيِيٌّ كريمٌ وبَرٌّ رحيمٌ سُبحانَه، ومِن كرمِه ألا يَرُدَّ دُعاءَ عَبدِه، وخاصَّةً إذا كان الدُّعاءُ بخُشوعٍ وخُضوعٍ، واشتمَل على التَّوسُّلِ إلى اللهِ تبارَك وتعالى، والسُّؤالِ بأسمائِه الحسنى الجليلةِ الدَّالَّةِ على كمالِ صفاتِه العظيمةِ، وبيَّن أنَّ اللهَ يَقبَلُ دعوةَ عِبادِه

- وفي الحديث القدسي يقول الله تبارك وتعالى ويا عبادي ! لو أنَّ أوَّلَكم وآخرَكم وجنَّكم وإنسَكم اجتمَعوا في صعيدٍ واحدٍ فسألوني جميعًا فأعطيتُ كلَّ إنسانٍ منهم مسألتَه لم يُنقِصْ ذلك ممَّا عندي إلَّا كما يُنقِصِ المَخيطُ إذا غُمِس في البحرِ ، رواه مسلم٢٥٧٧
- أنَّ جميعَ الخلقِ مُفتقِرُون إلى الله تعالَى في جلْبِ مصالِحِهم، ودفْعِ مَضارِّهم في أمورِ دِينِهم ودُنياهم.
- وفيه: أنَّ اللهَ تعالَى يُحبُّ أنْ يَسألَه العبادُ ويَستغفِرُوه.
- وفيه: أنَّ مُلكَه عزَّ وجلَّ لا يَزيدُ بطاعةِ الخلْقِ ولا يَنقصُ بمعصيَتِهم.
- وفيه: أنَّ خَزائنَه سُبحانه لا تَنفَدُ ولا تَنقُصُ.
- وفيه: أنَّ ما أصابَ العبدَ مِن خيرٍ فَمِن فضْلِ اللهِ تعالى، وما أصابَه مِن شرٍّ فَمنْ نفسِه وهَوَاه.
- وفيه: حثُّ الخلقِ على سَؤالِ اللهِ وإنزالِ حوائجِهم به.
- وفيه: ذكْرُ كمالِ قُدرتِه تعالَى وكمالِ مُلكِه.

يا من يرى ما في الضمير ويسمعُ

أنت المُعدُّ لكل ما يُتوقعُ

يا من يُرجَّى للشدائد كلها

يا من إليه المُشتكى والمفْزعُ

يا من خزائن رزقه في قول (كن)

امنن فإن الخير عندك أجْمعُ

ما لي سوى فقري إليك وسيلة

فبالافتقار إليك فقري أدفعُ

ما لي سوى قرعي لبابك حيلة

فلئن رُدِدت فأيِّ باب أقْرعُ

- هو الكريم: وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ) [البقرة: ١٨٦].

- **مكانة الجود والكرم:**

- الجود والكرم خلُق عظيم، وعملٌ صالح جليل، أمر به ربُّ العالمين، وحثَّ عليه سيد المرسلين.
- الجود والكرم من صفات الله عز وجل: فالكريم من أسمائه، والجود والكرم من صفاته، قال سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ [الانفطار: ٦ – ٨].
- عن طلحة بن عبيدالله بن كريز، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إنَّ الله جواد يحبُّ الجودَ، ويحب معاليَ الأخلاق، ويكره سَفْسافها))؛ أخرجه ابن أبي شيبة، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة.
- روى البخاريُّ ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: ((إنَّ يمين الله مَلأى لا يَغِيضُها نفَقة، سَحَّاءُ الليل والنَّهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السَّموات والأرض؛ فإنَّه لم ينقص ما في يمينه، وعرشه على الماء، وبيده الأخرى القبض يَرفع ويخفض)).

- **الكرم من صفات الملائكة:**

- قال تعالى في وصفهم: ﴿ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ * وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الانفطار: ٩ – ١٢].

- **الجود والكرم من سمات الأنبياء والرسل:**

- قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ * فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ * فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴾ [الذاريات: ٢٤ – ٢٧].
- وفي صحيح البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((الكريمُ ابنُ الكريم ابنِ الكريم ابنِ الكريم؛ يوسفُ بنُ يعقوب بنِ إسحاق بنِ إبراهيم عليهم السلام)).

- **النبي صلى الله عليه وسلم مضرب مثل في الجود والسخاء والكرم**

- ونبينا المصطفى صلى الله عليه وسلم مَثَلٌ لا يُضاهى، وقدوة لا تُسامى في الجود والكرم، فقد بلغ صلوات الله وسلامه عليه مرتبةَ الكمال الإنساني في حبِّه للعطاء؛ إذ كان يعطي عطاءَ مَن لا يحسب حسابًا للفقر ولا يخشاه؛ ثِقةً بعظيمِ فضل الله، وإيمانًا بأنَّه هو الرزَّاق ذو الفضل العظيم.
- ففي صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه أنَّ رجلاً سأل النبيَّ صلى الله عليه وسلم غنمًا بين جبلين فأعطاه إيَّاه، فأتى قومَه فقال: أيْ قوم، أسلِموا؛ فوالله إنَّ محمدًا ليُعطي عطاءً ما يخاف الفقر، فقال أنس: "إنْ كان الرجل ليُسْلِم ما يُريد إلا الدنيا، فما يُسْلم حتى يكونَ الإسلام أحبَّ إليه من الدنيا وما عليها".
- وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((لو كان لي مثلُ أحُدٍ ذهبًا ما يسرُّني أنْ لا يمرَّ عليَّ ثلاث وعندي منه شيء، إلا شيء أرْصُده لدَيْنٍ))
- وقد كان صلى الله عليه وسلم يستعيذ من البخل

(اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ الْجُبْنِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ( البخاري، كتاب الدعوات، باب التعوذ من البخل، برقم ٦٣٧٠، وانظر في صحيح البخاري: الأرقام: ٢٨٢٢، و٦٣٦٥، و٦٣٧٤، و٦٣٩٠

- واستِعاذَتُه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم مِن هذه الأشياءِ؛ لِتَكْمُلَ صِفاتُه في كُلِّ أحْوالِه، وأيضًا لتَعليمِ أُمَّتِه؛ فإنَّه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم مَعصومٌ مِن كلِّ ما يَشينُ، وقدْ غفرَ اللهُ له ما تَقدَّمَ مِن ذَنبِه وما تأخَّرَ.
- وفي الحَديثِ: إثباتُ عَذابِ القَبرِ وفِتنتِه.
- وفيه: بيانُ حِرصِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم على تعليمِ النَّاسِ جوامِعَ الدُّعاءِ بما فيه نفْعُهم وصلاحُ دِينِهم ودُنياهم وآخِرَتِهم.
- ولقد نفاه عن نفسه عليه الصلاة والسلام، فعن جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، أَنَّهُ بَيْنَمَا هُوَ يَسِيرُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ النَّاسُ مَقْفَلَهُ مِنْ حُنَيْنٍ، فَعَلِقَهُ النَّاسُ يَسْأَلُونَهُ حَتَّى اضْطَرُّوهُ إِلَى سَمُرَةٍ، فَخَطِفَتْ رِدَاءَهُ، فَوَقَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: (أَعْطُونِي رِدَائِي، لَوْ كَانَ لِي عَدَدُ هَذِهِ الْعِضَاهِ نَعَمًا لَقَسَمْتُهُ بَيْنَكُمْ، ثُمَّ لَا تَجِدُونِي بَخِيلًا وَلَا كَذُوبًا وَلَا جَبَانًا)رواه البخاري برقم ٢٨٢١

- **وهذه اوصاف نبينا محمد صلى الله عليه وسلم**

تعود بسط الكف حتى لو أنه

ثناها لقبض لم تطعه أنامله

تراه إذا ما جئته متهللاً

كأنك تعطيه الذي أنت سائله

هو البحر من أي النواحي أتيته

فلجته المعروف والجود ساحله

ولولم يكن في كفه غير روحه

لجاد بها فليتق الله سائله

- **الجود والكرم من سمات الصحابة الكرام:**

- فعلى هذا الخُلق الكريم ربَّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أصحابَه، فكانوا يتنافسون في الجود والكرَم، ويتسابقون إلى البذل والعطاء، قال تعالى في وصفهم: ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر: ٩].

- عن زيد بن أسلم، عن أبيه، قال: سمعتُ عمر بن الخطاب، رضي الله عنه يقول: "أمرنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يومًا أن نتصدَّق، فوافق ذلك مالاً عندي، فقلتُ: اليوم أسبِق أبا بكر إنْ سبقتهُ يومًا، فجئتُ بنصف مالي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ما أبقيتَ لأهلِك؟))، قلت: مثله، قال: وأتى أبو بكر رضي الله عنه بكلِّ ما عنده، فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: ((ما أبقيتَ لأهلك؟)) قال: أبقيتُ لهم اللهَ ورسولَه، قلتُ: لا أسابقك إلى شيء أبدًا"؛ أخرجه الترمذي وأبو داود والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم، وحسنه الألباني في صحيحَيْ أبي داود والترمذي.
- وفي صحيح البخاري عن أبي عبدالرحمن، أنَّ عثمان رضي الله عنه حين حوصِر أشرَف عليهم، وقال: أنشدكم الله، ولا أنشد إلاَّ أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ألستم تعلمون أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((مَن حفر رومة فله الجنَّة))، فحفرتُها؟ ألستم تعلمون أنَّه قال: ((من جهَّز جيشَ العُسرة فله الجنَّة))، فجهَّزتُهم؟ قال: فصدَّقوه بما قال.
- وفي الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه، يقول: كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالاً من نَخل، وكان أحَبُّ أموالِه إليه بَيرُحاءَ، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَدخلها ويشرب من ماء فيها طيِّب، قال أنس: فلما أُنزلَت هذه الآية: ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ [آل عمران: ٩٢]، قام أبو طلحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إنَّ الله تبارك وتعالى يقول: ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾، وإنَّ أحَبَّ أموالي إليَّ بَيْرُحاء، وإنَّها صدَقة لله، أرجو برَّها وذُخرها عند الله، فضَعْها يا رسول الله حيث أراك الله، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((بَخٍ، ذلك مالٌ رابِح، ذلك مال رابح، وقد سمعتُ ما قلتَ، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين))، فقال أبو طلحة: أفعَلُ يا رسول الله، فقسَمَها أبو طلحة في أقاربه وبني عَمِّه.
- وعن حَكيم بن حِزام رضي الله عنه قال: "ما أصبحتُ صباحًا قطُّ فرأيتُ بفنائي طالب حاجة قد ضاق بها ذرعًا فقضيتُها، إلاَّ كانت من النِّعم التي أحمد اللهَ عليها، ولا أصبحتُ صباحًا لم أرَ بفنائي طالب حاجة، إلاَّ كان ذلك من المصائب التي أسأل الله عزَّ وجلَّ الأجرَ عليها"؛ رواه ابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق.
- روى البخاريُّ ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: "جلس إحدى عشرة امرأة، فتعاهدنَ وتعاقدنَ أن لا يكتمْنَ من أخبار أزواجهنَّ شيئًا..." – والذي يهمنا في الموضوع هو قول التاسعة والعاشرة منهنَّ – "قالت التاسعة: زوجي رفيع العماد، طويل النجاد، عظيم الرماد، قريب البيت من النَّاد، قالت العاشرة: زوجي مالكٌ، وما مالكٌ؟ مالكٌ خير من ذلك، له إبل كثيرات المبارك، قليلات المسارِح، وإذا سمعنَ صوت المزهر، أيقنَّ أنَّهنَّ هوالك".
- إذا كان هذا هو حال العرب في جاهليَّتهم؛ فكيف بمن مَنَّ الله عليه بالإسلام ودعاه إلى أخلاقه؟ ألا يتألَّم قلبه، وتَدمع عينه، حين يرى إخوانًا له في الدِّين جياعًا حفاة عراة، يفترشون الأرض، ويلتحفون السماء؟ ألا يَرِقُّ قلبه، وتجود يداه؟ ألا يشكرُ خالقَه ورازقَه على فضله وعطائه، بإنفاقه وإحسانه؟

- **نماذج من كرم العرب وجودهم في العصر الجاهلي:**

- لقد كان الكرم من أبرز الصفات في العصر الجاهلي، بل كانوا يتباهون بالكرم والجود والسخاء، ورفعوا من مكانة الكرم وكانوا يصفون بالكرم عظماء القوم، واشتهر بعض العرب بهذه الصفة الحميدة حتى صار مضرباً للمثل، ونذكر بعض النماذج من هؤلاء الذين اشتهروا بفيض كرمهم وسخاء نفوسهم، ومن أولئك:

- حاتم الطائي:

كان حاتم الطائي من أشهر من عرف عند العرب بالجود والكرم حتى صار مضرب المثل في ذلك.

(قالت النوار امرأته: أصابتنا سنة اقشعرت لها الأرض، واغبر أفق السماء، وراحت الإبل حدبا حدابير (الحدب: جمع حدباء، وهي التي بدت حراقفها وعظم ظهرها. الحدابير: جمع حدبار وحدبير، بكسر الحاء فيهما، وهي العجفاء الضامرة التي قد يبس لحمها من الهزال)، وضنت المراضع عن أولادها فما تبض بقطرة، وجلفت السنة المال (جلفت: أصل الجلف: القشر، فكأن السنة قشرت المال، والجالفة: السنة التي تذهب بأموال الناس)، وأيقنا أنه الهلاك. فو الله إني لفي ليلة صنبر بعيدة ما بين الطرفين (الصنبر: الباردة، وليل الشتاء طويل، ويزيده الجوع طولا)، إذ تضاغى أصيبيتنا ( نص في اللسان على أنه «قد جاء في الشعر أصيبية، كأنه تصغير أصيبة) من الجوع، عبد الله وعدي وسفانة، فقام حاتم إلى الصبيين، وقمت إلى الصبية، فو الله ما سكنوا إلا بعد هدأة من الليل، ثم ناموا ونمت أنا معه، وأقبل يعللني بالحديث، فعرفت ما يريد، فتناومت، فلما تهورت النجوم (تهورت النجوم: ذهب أكثرها) إذا شيء قد رفع كسر البيت (كسر البيت: أسفل الشقة التي تلي الأرض من الخباء من حيث يكسر جانباه من عن يمين ويسار)، فقال: من هذا؟ فولى ثم عاد، فقال: من هذا؟ فولى ثم عاد في آخر الليل، فقال: من هذا؟ فقالت: جارتك فلانة، أتيتك من عند أصيبية يتعاوون عواء الذئاب من الجوع، فما وجدت معولا إلا عليك أبا عدي، فقال: والله لأشبعنهم، فقلت: من أين؟ قال: لا عليك، فقال: أعجليهم فقد أشبعك الله وإياهم، فأقبلت المرأة تحمل ابنين ويمشي جانبيها أربعة، كأنها نعامة حولها رئالها، فقام إلى فرسه فوجأ لبته بمديته، فخر، ثم كشطه، ودفع المدية إلى المرأة فقال: شأنك (الآن)، فاجتمعنا على اللحم، فقال: سوأة! أتأكلون دون الصرم؟! (الصرم، بالكسر: الأبيات المجتمعة المنقطعة من الناس) ثم جعل يأتيهم بيتا بيتا ويقول؛ هبوا أيها القوم، عليكم بالنار، فاجتمعوا، والتفع بثوبه ناحية ينظر إلينا، لا والله ما ذاق منه مزعة (المزعة: القطعة من اللحم ونحوه. وفي س ف «مضغة»)، وإنه لأحوج إليه منا، فأصبحنا وما على الأرض من الفرس، إلا عظم أو حافر، (فعذلته على ذلك)، فأنشأ حاتم يقول:

مهلا نوار أقلي اللوم والعذلا ... ولا تقولي لشيء فات: ما فعلا

ولا تقولي لمال كنت مهلكه ... مهلا، وإن كنت أعطي الجن والخبلا (الخبل، بفتحتين: الجن، أو ضرب من الجن يقال لهم الخابل)

يرى البخيل سبيل المال واحدة ... إن الجواد يرى في ماله سبلا

لا تعذليني في مال وصلت به ... رحماً، وخير سبيل المال ما وصلا (الرحم، بكسر الراء وسكون الحاء، والرحم، بفتح فكسر: القرابة)((الشعر والشعراء)) للدينوري (١/ ٢٣٨))

أُضاحك ضيفي قبل إنزال رحله

ويخصبُ عندي والمحلُّ جديبُ

وَما الخصب للأَضياف أَن يكثر القِرى

ولكنما وجه الكَريم خَصيبُ

- إذا كان هذا هو حال العرب في جاهليَّتهم؛ فكيف بمن مَنَّ الله عليه بالإسلام ودعاه إلى أخلاقه؟ ألا يتألَّم قلبه، وتَدمع عينه، حين يرى إخوانًا له في الدِّين جياعًا حفاة عراة، يفترشون الأرض، ويلتحفون السماء؟ ألا يَرِقُّ قلبه، وتجود يداه؟ ألا يشكرُ خالقَه ورازقَه على فضله وعطائه، بإنفاقه وإحسانه
- الإسلام دين يدعو إلى البَذل والإنفاق، ويرغِّب في الكرَم والسَّخاء، وينهى على الشحِّ والبخل، ويحذِّر من المنع والإمساك.
- الإسلام دينٌ يحبِّب إلى أتباعه أن تكون نفوسهم سخيَّة، وأكفهم ندِيَّة، ويوصيهم بالمسارعة إلى دواعي الإحسان ووجوه البرِّ، وأن يجعلوا تقديمَ الخير إلى النَّاس شُغلَهم الدائم، لا ينفكون عنه في صباح أو مساء، قال سبحانه: ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ٢٧٤].فمِن الواجب على المسلِم أن يَقتصد في مطالب نفسه؛ حتى لا تَستَنفِدَ مالَه كلَّه، وعليه أن يُشرك غيرَه فيما آتاه الله من فَضله، وأن يجعل في ثرْوته متَّسعًا يُسعِفُ به المنكوبين ويُريح المتعَبين؛ ولذلك ورد الأمر بالإنفاق على القرابة والمساكين مقرونًا بالنهي عن التبذير، في قوله سبحانه: ﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٦، ٢٧].

إذا جادت الدّنيا عليك فجد بها

على الناس طرا إنها تتقلبُ

فلا الجود يفنيها إذا هي أقبلت

ولا البخل يبقيها إذا هي تذهبُ

- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال بَنما نَحْنُ في سَفَرٍ مع النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ إذْ جَاءَ رَجُلٌ علَى رَاحِلَةٍ له، قالَ: فَجَعَلَ يَصْرِفُ بَصَرَهُ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَقالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: مَن كانَ معهُ فَضْلُ ظَهْرٍ، فَلْيَعُدْ به علَى مَن لا ظَهْرَ له، وَمَن كانَ له فَضْلٌ مِن زَادٍ، فَلْيَعُدْ به علَى مَن لا زَادَ له. قالَ: فَذَكَرَ مِن أَصْنَافِ المَالِ ما ذَكَرَ، حتَّى رَأَيْنَا أنَّهُ لا حَقَّ لأَحَدٍ مِنَّا في فَضْلٍ. رواه مسلم ١٧٢٨
- التعاون وبَذلُ الخير للغير فِطرةٌ جبليَّةٌ، خَلَقَها اللهُ في جَميعِ مَخلوقاتِه، وقدْ حَضَّ اللهُ عزَّ وجلَّ عليه وأمَرَ به، وعَلَّم النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أصحابَه رَضيَ اللهُ عنهم كَيفيَّةَ التَّعاوُنِ والتَّآزُرِ؛ لِما فيه مِن نَشرِ المؤاخاةِ والمحبَّةِ بيْنَ الناس.

- **مظاهر الجود والسخاء والكرم:**

- عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أحبُّ الناسِ إلى اللهِ أنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ ، و أحبُّ الأعمالِ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ سُرُورٌ يدْخِلُهُ على مسلمٍ ، أوْ يكْشِفُ عنهُ كُرْبَةً ، أوْ يقْضِي عنهُ دَيْنًا، أوْ تَطْرُدُ عنهُ جُوعًا ، و لأنْ أَمْشِي مع أَخٍ لي في حاجَةٍ أحبُّ إِلَيَّ من أنْ اعْتَكِفَ في هذا المسجدِ ، يعني مسجدَ المدينةِ شهرًا ، و مَنْ كَفَّ غضبَهُ سترَ اللهُ عَوْرَتَهُ ، و مَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ ، و لَوْ شاءَ أنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ مَلأَ اللهُ قلبَهُ رَجَاءً يومَ القيامةِ ، و مَنْ مَشَى مع أَخِيهِ في حاجَةٍ حتى تتَهَيَّأَ لهُ أَثْبَتَ اللهُ قَدَمَهُ يومَ تَزُولُ الأَقْدَامِ ، [ و إِنَّ سُوءَ الخُلُقِ يُفْسِدُ العَمَلَ ، كما يُفْسِدُ الخَلُّ العَسَلَ) أخرجه الطبراني في ((المعجم الأوسط)) (٦٠٢٦)، وأبو الشيخ في ((التوبيخ والتنبيه)) (٩٧) السلسلة الصحيحة برقم٩٠٦

- كان الصَّحابةُ رضِيَ اللهُ عنهم –لحرصِهم على الطَّاعاتِ وما يُقرِّبُ مِن رِضا اللهِ عزَّ وجلَّ– كثيرًا ما يسأَلون النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم عن أفضَلِ الأعمالِ، وأكثرِها قُربةً إلى اللهِ تَعالى، فكانت إجاباتُ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم تختلِفُ باختلافِ أشخاصِهم وأحوالِهم، وما هو أكثرُ نفعًا لكلِّ واحدٍ منهم.

- **أعظم السخاء هو بذل العلم والدعوة**

– عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم( مَن دعا إلى هُدًى كان له مِن الأجرِ مِثْلُ أجورِ مَن تبِعهُ لا ينقُصُ ذلك مِن أجورِهم شيئًا، ومَن دعا إلى ضلالةٍ كان عليه مِن الإثمِ مِثْلُ آثامِ مَن تبِعهُ لا ينقُصُ ذلك مِن آثامِهم شيئًا)رواه الإمام مسلم ٢٦٧٤.

- بذل النصيحة

- الكريم لا يبخل

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( إن الدينَ النصيحةُ إن الدينَ النصيحةُ إن الدينَ النصيحةُ. قالوا : لَمن يا رسولَ الله ؟ قال : لله ولكتابه ولرسولِه ولأئمةِ المسلمين وعامَّتِهم) رواه الإمام مسلم٥٥

- التَّناصُحُ بين المسلمين من مَعالِمِ الدِّينِ الحَنيفِ، ومِن حُسنِ التَّعامُلِ بين النَّاسِ أن يَتناصَحوا فيما بينهم بالمعروفِ، وبغيرِ أن يُحدِثوا مُنكَرًا أكبَرَ ممَّا يَنصَحون به، مع إخلاصِ المحبَّةِ للمَنصوحِ، ومَعرفةِ حَقِّه لإسلامِه، ومَعرفةِ حقِّه لِمَوقعِه في المُجتمعِ.

وهذا الحديثُ يُوضِّحُ مَعالِمَ النُّصحِ

وفيه: الحثُّ على النُّصحِ لكافَّةِ المسلمين بكلِّ مُستوياتِهم بَدأً من رأسِ الدَّولةِ حتى عامَّةِ الناس

بذل المرء وعطاؤه من أخلاقه وشِيَمه؛ فالكريم يعطي من مكانته وجاهه، ويعطي من عَطفه وحنانه، ويعطي من طلاقة وَجْهه وابتسامة ثغره وحُلو كلامه، ويعطي من وقته وراحتِه، ويعطي من سَمعه وإصغائه، ويعطي من حبِّه ورحمته، ويعطي من دعائه وشفاعته، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: (أكمَل المؤمنين إيمانًا أحسنُهم خلقًا، وخيركم خيركم لنسائهم)أخرجه أبو داود (٤٦٨٢)، والترمذي (١١٦٢)، وأحمد (٢/ ٤٧٢)

- بذل العبد وعطاؤه من طاقات جسده وقوَّته؛ فالجواد يعطي من معونته وخدماته وجُهده، يمشي في مصالِح النَّاس، ويَتعب في مساعدتهم، ويَسهر من أجل معونتهم، ويسعى في خدمتهم...؛ ففي الصَّحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((كلُّ سُلامَى من النَّاس عليه صدَقة كلَّ يوم تطلع فيه الشمس؛ تعدِل بين الاثنين صدَقة، وتعين الرجلَ في دابَّته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعَه صدَقة، والكلمة الطيِّبة صدقة، وكل خطوة تَمشيها إلى الصلاة صدَقة، وتميط الأذى عن الطَّريق صدَقة)). أخرجه البخاري (٢٩٨٩)، ومسلم (١٠٠٩)
- إكرام الوالدين ببرِّهما والإحسان إليهما بحسن القول والفعل والخُلق؛ فقد قال تعالى في وصيته لعباده: ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ [الإسراء: ٢٣، ٢٤].
- إكرام الأهل والأقارب؛ فمِن أحق النَّاس بجودك وكرمك أهلُك وقرابتك، بإكرامهم تكون الصلة ويكون التماسك الأُسري، روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( دِينارٌ أنْفَقْتَهُ في سَبيلِ اللهِ، ودِينارٌ أنْفَقْتَهُ في رَقَبَةٍ، ودِينارٌ تَصَدَّقْتَ به علَى مِسْكِينٍ، ودِينارٌ أنْفَقْتَهُ علَى أهْلِكَ؛ أعْظَمُها أجْرًا الذي أنْفَقْتَهُ علَى أهْلِكَ)رواه : مسلم ٩٩٥

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((خيرُكم خيركم لأهله، وأنا خيرُكم لأهلي)) أخرجه الترمذيُّ وابن حبان والبيهقي، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة.
- إكرام الجار والضيف؛ فالكريم مَن يُكرم جارَه، والكريم من يُكرم ضيفَه ويكرم زائرَه، فذاك دليل على إيمان العبد بالله واليوم الآخر، فقد روى مالك في الموطأ وعنه البخاريُّ ومسلم في صحيحَيْهما عن أبي شريح العدوي رضي الله عنه قال: سمعَتْ أذُناي، وأبصرَتْ عيناي، حين تكلَّم النبيُّ صلى الله عليه وسلم فقال: ((مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليُكرم جارَه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليُكرم ضيفَه جائزته))، قال: وما جائزتُه يا رسول الله؟ قال: ((يوم وليلة، والضِّيافة ثلاثة أيام، فما كان وراء ذلك فهو صدَقة عليه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت)) أخرجه البخاري (٦٠١٨)، ومسلم (٤٧) والترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع.

فليَعلمْ كلُّ مُنفِق كريم أنَّ ما أنفقه في سبيل الله باقٍ مدَّخَرٌ له إلى يوم القيامة؛ فعن عائشة رضي الله عنها أنَّهم ذبحوا شاةً، فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: ((ما بقي منها؟))، قالت: ما بقي منها إلاَّ كتفُها، قال: ((بقي كلُّها غيرَ كتفها)) أخرجه الترمذيُّ وقال: هذا حديث صحيح، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((يقول العبد: مالي مالي، إنَّما له من ماله ثلاث: ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى، أو أعطى فاقتنى – أي ادَّخره لنفسِه في الآخرة – وما سوى ذلك فهو ذاهبٌ وتارِكُه للناس)).

- وفي صحيح البخاري عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: ((أيُّكم مالُ وارثِه أحَبُّ إليه من مالِه؟))، قالوا: يا رسول الله، ما مِنَّا أحد إلا مالُه أحبُّ إليه، قال: ((فإنَّ مالَه ما قدَّم، ومالُ وارثه ما أخَّر)).

- فما المالُ إلا ظلٌّ زائل، وعارية مسترجَعة، انتقَل إلينا مِن غيرنا، وسينتقل منَّا إلى غيرنا، فلنتزوَّد منه ليومٍ يقف فيه العبادُ بين يدَي الله تعالى حفاة عراة، من غير مال ولا جاه، كما خُلقوا أول مرة، لا ينفعهم إلاَّ ما قدَّموه بين أيديهم من صالح الأعمال، قال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ [الأنعام: ٩٤].

نسأل الله تعالى أن يوفِّقنا لصالح الأعمال، وأن يَهدينا سبلَ الرَّشاد، وأن يجعلنا من عباده المحسنين.

اللهم احسن عاقبتنا في الأمور كلها واجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة

اللهم اكرمنا بعفوك وكرمك يا ذا الجلال والإكرام

اللهم يسرنا لليسرى وجنبنا العسرى واغفر لنا وارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين

وصلى الله على نبينا محمد وسلم تسليما...

**كتبه الشيخ د: أبو الحسن علي بن محمد عبده المطري**

غفر الله له ولوالديه وجميع المسلمين